ميثولوجيا الشيطان في الفكر اليهودي والمسيحي
قراءة تحليلية مقارنة في الكتابين المقدسين

The Mythology of Satan in Jewish and Christian Thought
A Comparative Analytical Reading in the Two Holy Books

أ.م.د. حميدة صبار كاظم الأعرجي
جامعة الكوفة - كلية الفقه

Mr. Dr. Hamida Sabbar Kazim Al-Araji
Al-Kafeel University/Najaf Ashraf

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. وبعد.. فإنّ صفات (الشيطان) عمومًا متبادرة إلى ذهن الإنسان، وهي إلى حدٍّ ما متفقٌ عليها بينهم على اختلاف عقائدهم -السماوية منها أو غير السماوية- وعلى الرغم من التباين الكبير بين معتنقي هذه العقائد، إلّا أنهم يؤمنون بمدى قدرته وإرادته على فعل الشر.

غير أنّ الذي كان سائدًا في الديانات الوثنية والوضعية القديمة، هو وجود إلهين مؤثرين في هذا العالم: (إله الخير، وإله الشَّر)، أي تضع الشيطان في قِبال الله تعالى وتعطيه التأثير بالاستقلال عنه، ومن ثمّ انتقل الصراع الذي دار بينهما في العالم العلوي إلى العالم السفلي وأصبح مداره هو الإنسان[1]. ولم تتبلور صورة الشيطان كوجود في عالم الخلق إلّا في الديانات السماوية، أو بمعنى أدق في الديانات الكتابية، بعد أنْ أوضحت حقيقته والهدف من وجوده. فكانت فاتحة التمييز بين الخير والشَّر، والحسن والقبيح، والطيب والخبيث... وحددت مقدار ما يُنسب إليه من الشَّر؛ لئلّا يكون سببًا يعلّق عليه بنو البشر كل شرورهم أو ينسبون إليه ما يعتقدونه شرًّا بالنسبة إليهم.

وقد ارتأى البحث هنا الوقوف على ميثولوجيا الشيطان في فكر الديانتين اليهودية والمسيحية بعد أنْ وقف عليها في الديانات القديمة في بحث سابق، وسيقف عليها في الفكر الإسلامي في بحث لاحق إن شاء الله. وتجدر الإشارة إلى أنّ البحث قُسّم على مبحثين، خصص الأول منهما لماهيّة الشيطان في الفكر اليهودي وكان بأربعة مطالب، وخصص الثاني لماهيّته في الفكر المسيحي وكان بأربعة مطالب أيضًا، وفي جميع ذلك كان المستقى الرئيسي للبحث هو الكتابين المقدسين لكلا الديانتين مع بعض من تفسيراتهما .

المبحث الأول

ماهيّة الشيطان في الفكر اليهودي

المطلب الأول: تعريفٌ مجمل بكتاب اليهود المقدس

اليهود أمّة النبي موسى عليه السلام، وكتابهم (التوراة) كان أول كتاب سماوي حاملًا لشريعة متكاملة في عصره، لأنَّ ما نزل على إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء لم يكن يسمى كتابًا، بل صحفًا[٢]. وبحسب الرواية اليهودية فإنَّ موسى عليه السلام هو الذي قام بتدوين التوراة مبتدئًا بسفر التكوين، كما جاء ذلك في نصوص من التوراة نفسها، منها في سفر الخروج قوله: «**فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ...**»[٣]، وفي سفر التثنية: «**وَكَتَبَ مُوسَى هذِهِ التَّوْرَاةَ وَسَلَّمَهَا لِلْكَهَنَةِ بَنِي لاَوِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ، وَلِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ**»[٤]. والتوراة المنسوب كتابتها إلى موسى عليه السلام، هي خمسة أسفار فقط: (التكوين، والخروج، واللّاويين، والعدد، والتثنية)، التي أُطلَقَ عليها (**التناخ Tanach**)[*٥] فيما بعد بـ: (سفر الشَّريعة[٦]، وسفر العهد[٧]، وسفر شريعة موسى، وسفر شريعة الرَّب بيد موسى[٨]) تمييزًا لها عن الأسفار اللّاحقة. ونقل بعضٌ إجماع جمهرة العلماء والباحثين على أنَّ موسى هو كاتب هذه الأسفار أو أكثرها، على الرغم من أنه لا توجد في الأسفار ذاتها آية واحدة تؤكِّد على أنَّه هو كاتبها كلها[٩].

ويذكر التناخ أنّ يشّوع عليه السلام أعاد كتابة الشَّريعة الموسوية على حجارة من دون تغيير، كما في نصّه : «**٣٢وَكَتَبَ هُنَاكَ عَلَى الْحِجَارَةِ نُسْخَةَ تَوْرَاةِ مُوسَى الَّتِي كَتَبَهَا أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ... ٣٤وَبَعْدَ ذلِكَ قَرَأَ جَمِيعَ كَلاَمِ التَّوْرَاةِ: الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ، حَسَبَ**

كُلِّ مَـا كُتِـبَ فِي سِـفْرِ التَّـوْرَاةِ »[١٠].

ويـرى بعـض الباحثـين انّ التَّـوراة لم تتغـير إلّا بعـد السـبي البابـلي، عندمـا شـعر اليهـود بإدبـار الدنيـا عنهـم؛ فاتفـق العبرانيـون والسـامريون عـلى أن يحتفظـوا بكيـان مسـتقل بهـم إلى الأبـد، ومـن أجـل ذلـك كتبـوا التَّـوراة بأيديهـم، مبينـين فيهـا أنَّ اللـه تعـالى إلههـم وحدهـم، وأنَّ الشَّريعـة أنزِلـت عليهـم وحدهـم مـن دون النـاس، وأنَّ النبـي المنتظـر سـيكون مـن بنـي إسرائيـل لا مـن بنـي إسـماعيل. فكتـب لهـم **عِـزرا** كتـاب التَّـوراة عـلى تلـك المبـادئ وعرضهـا عليهـم فـسرّوا بهـا.

ولمـّا رجـع الإسرائيليـون مـن الأسر، اختلـف العبرانيـون مـع السـامريون واشـتد العـداء بينهـم، وبسـببه اختلفـت **التَّـوراة العبرانيـة** عـن **التَّـوراة السَّـامريَّة**، التـي اقتـصرت عـلى أسـفار مـوسى عليه السلام الخمسـة، واعتقـد كلًا منهـم أنّ توراتـه هـي الأصح[١١].

واليـوم، فـإنَّ التـوراة العبرانيـة هـي المعـترف بهـا بـين أغلبيـة اليهـود والمسـيحيين في العـالم، عـلى أنَّ اليهـود يسـتعملون مصطلـح (تَنـاخ) بـدلًا عـن مصطلـح (العهـد القديـم) الـذي يسـتعمله المسـيحيون، لأنّ الأخـير يفيـد أنَّ (العهـد الجديـد) قـد أكمـل كتـاب اليهـود المقـدَّس وحـلَّ محلّـه[١٢].

وقـد قسَّـم اليهـود أسـفار كتابهـم المقـدس (**التنـاخ**Tanach) عـلى ثلاثـة أقسـام، هـي:

-1 **الشَّريعـة** (تـوراة)، وهـي أسـفار مـوسى الخمسـة.

-2 **الأنبيـاء**، وهـو قسـمان، الأول: الأنبيـاء المتقدمـون، وعـدده سـتة أسـفار، هـي: يشّـوع، والقضـاة، وسـفرا صموئيـل، وسـفرا الملـوك، والقسـم الثـاني: الأنبيـاء المتأخـرون، وعـدده أربـع أسـفار، هـي: إشـعياء، وإرميـا، وحزقيـال، والأنبيـاء الإثنـا عـشر الصغـار -إذ اعتـبرت أسـفارهم سـفرًا واحـدًا- وعددهـا ثمانيـة.

-3 **الكتـب**، وعـدد أسـفاره أحـد عـشر سـفرًا، هـي: المزامـير والأمثـال وأيّـوب والنشـيد والجامعـة وراعـوث والمـراثي وأسـتير ودانيـال، ثـم عـزرا ونحميـا كسـفر واحـد، وسـفرا الأخبـار كسـفر واحـد[١٣]. ومجمـوع عـدد هـذه الأسـفار أربعـة وعـشرون سـفرًا. ثـم عـاد اليهـود وأضافـوا سـفر راعـوث إلى القضـاة، ومـراثي إرميـا إلى سـفر إرميـا، فصـار عـدد الأسـفار القانونيـة -أي المعـترف بهـا- (٢٢)سـفرًا فقـط، بعـدد حـروف الأبجديـة العبريـة[١٤].

المطلب الثاني: ماهيّة (الشيطان) في أسفار التوراة

المستقرئ للأسفار الخمسة الأولى من التناخ، لا يجد فيها إشارة صريحة إلى شخصية الشيطان (إبليس) أو ما اتصف به من عداوةٍ للإنسان، على الرغم من تعرض السِفْر الأول (التكوين) إلى كيفية خلق الكون في إصحاحه الأول، من قبيل النور والظلام، والأرض والقمر والنجوم، وبعدها الطيور والأسماك وحيوانات البرية، ومن ثم في إصحاحه الثاني أشار إلى خلق الإنسان الأول (آدم)، وبعده خلق زوجه (المرأة)، وإسكانهما الجنة... إلّا أنه لم يتعرض إلى ذكر **الشيطان** إلّا بالتلويح إليه عن طريق **الحيّة** التي أغوت المرأة، وكانت واسطة في إغواء آدم وخروجه عن أمر ربه؛ ولذا تصف التوراة الحيّة بأنها أمكر الحيوانات التي خلقها الله في الأرض.

تقرأ ذلك في بدايات سفر التكوين في قوله: «[1]**وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّب الإلَهُ فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: أَحَقّا قَالَ اللهُ لا تَأْكُلا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟ [2]فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَاكُلُ. [3]وَامَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لا تَأْكُلا مِنْهُ وَلا تَمَسَّاهُ لِئَلَّا تَمُوتَا. [4]فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا! [5]بَلِ اللهُ عَالِمٌ انَّهُ يَوْمَ تَأْكُلانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ اعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّر. [6]فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ انَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأكْلِ وَانَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ وَانَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَاكَلَتْ وَاعْطَتْ رَجُلَهَا ايْضا مَعَهَا فَاكَلَ.**»[15].

بهذه الرواية التوراتية، يتبيّن أنّ **الحيّة** كانت سببًا في سقوط الإنسان وإخراجه من جنّة عدن. كما يبدو أنّ كاتب الرواية هنا حاول إسقاط موروثه الاجتماعي والفكري الذي كان يعيشه على النص، حيث جسّد الشَّيطان في صورة الحيّة؛ لأنه كان يعتقد أنها أحيل الحيوانات التي عرفها. وجعل من المرأة وسيلة اتخذها الشيطان للوصول إلى غواية الرجل؛ لإيمانه بأنها أكثر غوايةً للرجل من الحيّة، أو الشيطان بمعنى أدق، على عكس ما نجده في الرواية القرآنية التي تُنبئ بأنّ غواية الشيطان كانت لآدم عليه السلام مباشرة ومن دون وسيط، أو لكليهما معًا، لا أنها كانت لـ (حواء) بادئ ذي بدء. كما هو ظاهر قوله تعالى في سورة طه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ

قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾(١٦)، وفي سورة الأعراف: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾(١٧).

ويستمر الراوي التوراتي في تجسيم صورة الشيطان بالحيّة، فيجعل منها عدوًّا أبديًا للمرأة ونسلها، بعد أنْ لعنها الله تعالى وعاقبها بالسعي على بطنها وبأكل التراب ما دامت حياتها، يقول: «١٤ **فَقَالَ الرَّب الإلَهُ لِلْحَيَّةِ: لأنَّكِ فَعَلْتِ هَذَا مَلْعُونَةٌ أنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعِينَ وَتُرَابا تَأكُلِينَ كُلَّ أيَّامِ حَيَاتِكِ. ١٥ وَأضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأةِ وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأسَكِ وَانْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ.**»(١٨).

تعقيب:

مما لا شك فيه عند المسلمين أنَّ التوراة شريعة سماوية بُعث بها نبي من أنبياء أولي العزم عليهم السلام، الذين ميّزهم القرآن الكريم عن الأنبياء والمرسلين الآخرين، وقطعًا مَن تكون له هذه الميزة ﴿... مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾(١٩)، ومن هنا فلا ريب أنّ التوراة في أصلها مبتنية على تعاليم وقواعد سماوية مشتركة، أو هي واحدة مع الشرائع السماوية الأخرى في إطارها العام، بما فيها من توحيد حقيقي ينزّه الإله الواحد الأحد سبحانه، غير أنَّ التوراة الموجودة اليوم لا تجد فيها هذا التنزيه؛ لِما طالها من تحريفٍ كُتِب بأيدي كتبة عبرانيين بعد السبي البابلي لليهود.

فالكاتب التوراتي هنا لم يتورع في خدشه للعدل الإلهي ونسبة الظلم بمعاقبته لنسل الحيّة من دون أن يقترف ذنبًا يستحق من أجله السعي على البطن أو الأكل من التراب!.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تجد التوراة مليئة بهذه الروايات التي تضطرك -بشكل وبآخر- إلى القطع بتحريفها وتدخل الأيدي البشرية في كتابتها. إذ لم يستطع الكاتب التوراتي الفصل بين ما ينسبه إلى الخالق وبين ما ينسبه إلى مخلوقٍ من مخلوقاته. ففي الوقت الذي تجده ينسب الخير إلى الإله (الخالق)، تجده ينسب الشَّر إليه في الوقت ذاته.!! فتجد هذا الإله تارة يبارك ليعقوب الكاذب على أبيه والسارق للبركة من أخيه(٢٠)، وتارة يتآمر مع يعقوب ليسرق المواشي

من الناس[٢١]، وأخرى -وفي لحظة غضب- يقرر أن يبعد شعبًا بأكمله، لولا تدخل موسى عليه السلام في الوقت المناسب وأمره بالرجوع عما نوى: «**...ارجع عن حُمُوِّ غضبك...**»[٢٢]!. وبذا يتعلم هذا الرَّب الحلم من موسى بعد أن يذكّره بما وعد به إبراهيمَ واسحقَ وإسرائيل[٢٣]...إلخ. فالتوراة العبرانية مليئة بمثل هذه الافتراءات والتعديات على الذات الإلهية المقدسة وعلى الأنبياء عليهم السلام.

وعَوْدًا على بدء، فإنّ القارئ للتوراة لا يجد فيها الفاصل الحقيقي بين أعمال الله، وأعمال الشيطان، إذ لم تهتم التوراة بأصل هذا الكائن ولم تميزه عن الكائنات السماوية الأخرى التي تكوّن بلاط (يهوه) أو الرَّب[٢٤]. وأحيانًا تجد الشيطان فيها ملاكًا يعمل لمصلحة الرَّب، فشخصيته لا تظهر في التوراة العبرانية إلّا مرات قليلة، ولعل السبب في بقاء هذا الكائن في دائرة الظل، هو كون الخير والشَّر وجهان متكاملان للإله التوراتي، فهو صانع الخير وصانع الشَّر في آن معًا، ولكن على الرغم من ضآلة دوره، فإنَّ الشيطان لم يكن غائبًا تمامًا، وإنما يظهر كشريك ليهوه أحيانًا، أو كتابع له في أحيانٍ أخر يُوكله بتنفيذ مهام معينة[٢٥].

وبحسب مؤلّفي القاموس فإنّ التوراة تذكر أسماءً تشير إلى بها مصاديق الشيطان. من قبيل اسم (المهلك)[٢٦]، الملاك الذي كان مصاحبًا للرب عندما أراد إهلاك المصريين، فأمر بني إسرائيل تعليم أبوابهم بالدم لكي يعرفهم ولا يصيبهم الأذى، كما في النص: «**فَـإنَّ الرَّبَّ يَجْتَازُ لِيَضْرِبَ الْمِصْرِيِّينَ. فَحِينَ يَرَى الدَّمَ عَلَى الْعَتَبَةِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ يَعْبُرُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ وَلا يَدَعُ الْمُهْلِكَ يَدْخُلُ بُيُوتَكُمْ لِيَضْرِبَ**»[٢٧].

واسم (عزازيل)، الذي يأخذ من الصحراء والقفار مسكنًا له، وقسيمًا ليهوه في قربان الخطيئة الواجب على الإسرائيليين تقديمه تكفيرًا عن ذنوبهم[٢٨]، والقربان عبارة عن تيسين يأخذهما هرون ويقدمهما أمام الرَّب، كما في النص: «**وَيُلْقِي هَارُونُ عَلَى التَّيْسَيْنِ قُرْعَتَيْنِ: قُرْعَةً لِلرَّبِّ وَقُرْعَةً لِعَزَازِيلَ. وَيُقَرِّبُ هَارُونُ التَّيْسَ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِلرَّبِّ وَيَعْمَلُهُ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ. وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعَزَازِيلَ فَيُوقَفُ حَيًّا أَمَامَ الرَّبِّ لِيُكَفِّرَ عَنْهُ لِيُرْسِلَهُ إِلَى عَزَازِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ.**»[٢٩].

وكذلك في اسم (المقاوِم)[30] الذي اعترض طريق النبي بلعام بن بعور وهو ذاهب إلى قتال شعب إسرائيل بأمر الرّب[31]، كما في النص: «... **وَوَقَفَ مَلاكُ الرَّبِّ فِي الطَّرِيقِ لِيُقَاوِمَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلى أَتَانِهِ وَغُلامَاهُ مَعَهُ**»[32].

والمُلفِت للنظر، أنّ التوراة عندما تتعرض لذكر هذا الملاك لا تنسبه إلى قبيل الجان أو الأرواح النجسة التي تتعرض لذكرها بين طياتها، مشيرة إلى شرورها ونجاستها، ناهية عن إتّباعها.

ومن هذه النصوص نقرأ:

- «**لا تَلْتَفِتُوا إِلَى الْجَانِّ وَلا تَطْلُبُوا التَّوَابِعَ فَتَتَنَجَّسُوا بِهِمْ. أَنَا الرَّب إِلَهُكُمْ.**»[33].
- «**النَّفْسُ الَّتِي تَلْتَفِتُ إِلَى الْجَانِّ وَالَى التَّوَابِعِ لِتَزْنِيَ وَرَاءَهُمْ اجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّ تِلْكَ النَّفْسِ وَاقْطَعُهَا مِنْ شَعْبِهَا... وَاذَا كَانَ فِي رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَانَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ**»[34].
- «**لا يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ وَلا مَنْ يَعْرُفُ عِرَافَةً وَلا عَائِفٌ وَلا مُتَفَائِلٌ وَلا سَاحِرٌ وَلا مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً وَلا مَنْ يَسْأَلُ جَانّاً أَوْ تَابِعَةً وَلا مَنْ يَسْتَشِيرُ المَوْتَى.**»[35].

المطلب الثالث: ماهية الشيطان في أسفار الأنبياء

في هذا القسم من التناخ لا تجد ذِكرًا صريحًا لاسم الشيطان أيضًا، وإنما أشير إليه بالأوصاف الدالة على شرّه، كما أنه يبقى محافظًا على منزلته، بوصفه ملاكًا روحانيًا خَلَقه الله من أجل أنْ يُمرِض و يُهلِك ويخرِّب تحت إمرَتِه.

فهو (الروح الرديء) الذي أرسله الرّب ليُمرِض مِلك الاسرائيليين (شاؤُل) بعد خطيئته، كما يظهر من نص صموئيل الأول: «**وَذَهَبَ رُوحُ الرَّب مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ، وَبَغَتَهُ رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّب.**»[36].

وهو (المهلِك) الذي أرسله الرَّب الغاضب على شعب أورشليم ليُهلِكه، لأنّ الملك داود أخطأ أمام الربّ حين أحصى الشعب وأحسّ بالزهو لكثرة أعدادهم، ولذلك أرسل عليهم المهلِك فحَلّ في الشعب الوبأ ومات منهم سبعون ألفًا، لكن الربّ بعد ذلك ندم على فعله الشر[37]، كما يظهر من النص: «**وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّب عَنِ الشَّر وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ: «كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ.**»[38].

وفي سفر إشعياء يصرِّح الربّ بأنه

خلق المهلِك لهذا الغرض، فيقول: «هَئَنَذَا قَدْ خَلَقْتُ الْحَدَّادَ الَّذِي يَنْفُخُ الْفَحْمَ فِي النَّارِ وَيُخْرِجُ آلَةً لِعَمَلِهِ وَأَنَا خَلَقْتُ الْمُهْلِكَ لِيَخْرِبَ»(٣٩).

ولعلّ كَتَبة الكتاب المقدس في قسميه (التوراة والأنبياء) لم يتعرضوا إلى مسألة الشَّرور أو أسبابها؛ لأنّ اليهود عاشوا تلك الحقبة من الزمن في ظل الملائكة التي يرسلها (يهوه) في كل أحداثهم التاريخية، من قبيل عبور البحر أو التجوال في البرية أو في محاربة الأعداء(٤٠)؛ لأنهم بحسب عقيدتهم شعب الله المختار الذي أوعدهم بألّا يتخلى عنهم(٤١)، ومن هنا فالكاتب التوراتي لم يكن بحاجة لأن يذكر الشَّرور أو أصلها؛ لأنه في حمى (يهوه) وبعيدًا عنها.

ويبدو أنهم بعد أنْ تعرّضوا للسبي البابلي على يد الملك نبوخذ نصّر، وحل ما حل بهم من ويلات(٤٢)؛ بدأوا بالتفكير في أسباب ما أصابهم من مصائب وشرور، فأخذ الكتَّاب يضعون تفسيرات لهذه الأحداث ويعللونها بغضب الإله عليهم لمّا ابتعدوا عنه، بعد أن كانوا يظنون أنهم لا يصيبهم الأذى ما داموا هم شعبه(٤٣)!!

يقول الأب فغالي: «في القرن الثالث قبل الميلاد، يوم نقل اليهود كتبهم المقدّسة إلى اليونانيّة، سمّوا الأصنام والآلهة الوثنيّة والمصائب والحيوانات المخيفة، سمّوا كلّ هذا شيطانًا. ويوم أخذ الكتّاب يؤكّدون على تسامي الله وكماله، قالوا بوجود كائنات تتوسّط الله القدّوس والعالم الأرضي، قالوا بوجود كائنات شرّيرة هي سبب كلّ شرّ ماديّ وأدبي، فتأثّروا بثنائيّة الفرس (إله الشَّر وإله الخير). ولكنّهم ظلّوا يقولون إنّ الشيّاطين تخضع لله في وجودها وفي عملها. أمّا البسطاء الذين أَحسّوا بسلطة الشيّاطين، فاستسلموا إلى السحر والعرافة ومناجاة الأرواح واستحضار الموتى»(٤٤). وهذا ما سنجده حاضرًا في أسفار الكتب، كما في المطلب الآتي .

المطلب الرابع: ماهية الشيطان في أسفار الكُتُب

هنا فقط، في هذا القسم من التناخ، تقرأ لفظ (الشيطان) كاسم عَلَم يُشار به إلى هذا الكائن، وتظهر الكلمة ههنا بـ (أل التعريف) لتمثّل الشيطان المعهود بوصفه شخصية مقاوِمة شرِّيرة، وأول إخبار صريح باسمه تجده في سفر أخبار الأيام الأول، حين يُعزِي الخطأ الذي وقع

فيه الملك داود عندما أحصى بني إسرائيل واستشعر بالزهو والعزّة، يُعزِيه إلى إغراء الشيطان له!، كما في نصّه: «**وَوَقَفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ**»(٤٥).

وفي مزامير الملك داود نفسه، الذي يسموّنه إمام المغنيين أيضًا(٤٦)، تجد في المزمور ١٠٩ اسم (شيطان) بصيغة النكرة، الأمر الذي يدل على وجود أكثر من شيطان واحد في العقيدة اليهودية. حيث يطلب داود من ربّه أن يُقيم شيطانًا عن يمين خصمه أثناء محاكمته، لأنه قابَلَ محبته بالشرّ، إذ يقول: «٥**وَضَعُوا عَلَيَّ شَرّاً بَدَلَ خَيْرٍ وَبُغْضاً بَدَلَ حُبِّي.** ٦ **فَأَقِمْ أَنْتَ عَلَيْهِ شِرِّيراً وَلْيَقِفْ شَيْطَانٌ عَنْ يَمِينِهِ.** ٧ **إِذَا حُوكِمَ فَلْيَخْرُجْ مُذْنِباً وَصَلاَتُهُ فَلْتَكُنْ خَطِيَّةً**»(٤٧).

وفي سِفْرَي) أيّوب، وزكريا)، تظهر الكلمة بـ (أل التعريف) أيضًا، فتقرأ في سفر زكريا: «١ **وَأَرَانِي يَهُوشَعَ الْكَاهِنَ الْعَظِيمَ قَائِمًا قُدَّامَ مَلاَكِ الرَّبِّ وَالشَّيْطَانُ قَائِمٌ عَنْ يَمِينِهِ لِيُقَاوِمَهُ.** ٢ **فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ يَا شَيْطَانُ. لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ الَّذِي اخْتَارَ أُورُشَلِيمَ. أَفَلَيْسَ هذَا شُعْلَةً مُنْتَشَلَةً مِنَ النَّارِ؟**»(٤٨).

وهنا فقط يبيِّن النص العبراني أنّ ماهيّة الشيطان الخَلْقيّة عبارة عن (**شُعْلَةً مُنْتَشَلَةً مِنَ النَّارِ**)، وهو ما يتوافق مع ماهيّته في الإخبار القرآني، ذلك في قوله تعالى حكايةً عن لسان إبليس: ﴿... خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ...﴾(٤٩). على أنَّ ماهيّته الخُلُقيّة تظهر بأجلى ما يكون في سفر أيّوب.

فهو في هذا السِفْر ملاكٌ يعمل في جهاز الاستخبارات الإلهي، يجوب الأرض ليتعرّف على أحوال أهلها ويرفع أخبارهم للرّب، لما له مكانة عنده تؤهله لأن يصطف مع ملائكة الخير المقرّبين، أو أبناء الله بحسب تعبير الكَتَبة، وعلى الرغم من تبعية الشيطان للرب، إلّا أنه يملك من الدهاء ما يستطيع به خداع سيِّده ويدفعه لأن يتخذ قرارات هي أبعد ما يكون عن الحِكمَة، من قبيل فعله بالعبد الصالح أيّوب الذي ابتلاه بأشدّ الابتلاءات، لا لشيء إلّا لأنّ الشيطان أشار عليه أنْ يتخذ مثل هذه القرارات ليكي يكتشف حقيقة عبادة أيّوب المزيفة!

فقد استطاع الشيطان أن يُقنع الرب بأنَّ أيّوب لا يعبده مجانًا، وإنما لِما أعطاهُ من خيراتٍ كثيرة جعلتْ منه عبدًا شكورًا، ولو لم يكن له هذه النِّعَم لما كان كذلك.. وفعلًا نجح

الشيطان بأن ينال ثقة الرب في أنْ يسلّطه على أيّوب، وفي أنْ ينتظر النتائج!.

كان أيّوب عليه السلام -بحسب رواية السِفْر- رجلًا كاملًا مستقيمًا يتقي الله ويحيد عن الشَّر، وذا ثروة واسعة وبنين وبنات وغلمان كثر، وكان أعظم رجل في المشرق(٥٠)، «٦**وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّب وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً فِي وَسَطِهِمْ.** ٧**فَقَالَ الرَّب لِلشَّيْطَانِ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: مِنْ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا.** ٨**فَقَالَ الرَّب لِلشَّيْطَانِ: هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أيّوب؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّر**»(٥١).

وعندما سمع الشيطان هذا الكلام، فارت ثائرته وطفى بغضه وحسده لعبدٍ هو أفضل منه، يحظى بامتداح الرَّب ورضاه. فأضمر المكيدة لأيّوب، وأجابَ قائلًا: «٩... **هَلْ مَجَّاناً يَتَّقِي أيّوب اللهَ؟** ١٠**أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الأَرْضِ!** ١١**وَلَكِنِ ابْسِطْ يَدَكَ الآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ.**»(٥٢)، موحيًا إلى الرّب بأنّ تقوى الرجل لم تكن من غير مقابل، وإنما من أجل مصلحةٍ نفعية؛ لأنّ الله أغدق عليه نِعَم لم يعطها لغيره، ولو أنه سلبه إياها؛ لكفر أيّوب به، ولَمَا كان شاكرًا له.

وفي هذا النص واحدة أخرى من تجريّات الكَتَبة على الله تعالى، إذ ينسبون إليه النقص من حيث عدم الإحاطة والعلم الكلي بسريرة عبد من عبيده، وعندما يريد معرفة هذه السريرة يعقد رهانًا مع الشيطان.. وكأنه يكلّم نفسه: هل كلام الشيطان صحيح؟! وهل العبد الصالح سيكفر إنْ زالت عنه النعم التي أغدقتها عليه، أم أنه سيبقى شاكرًا وسيكون عند حسن ظني به؟!.

يسلِّم الرب عبده الصالح إلى الشيطان ليفعل به ما يريد شريطة أن لا يمسّه في نفسه، «**فَقَالَ الرَّب لِلشَّيْطَانِ:** ١٢**هُوَ ذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ. ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّب.**»(٥٣). وبهذا الإذن الإلهي يُطلق العنان للشيطان في تسلّطه على جميع ما يملك أيّوب. وكان في يوم واحد أنْ فقد أيّوب كل ما يملك، أبقارٌ وجِمال وعبيد وأولاد(٥٤).

غير أنه لم يرعه هذا الحدث، ولم

يدخل في نفسه الجزع، بل سجد لله تعالى «[21]**وَقَالَ: عُرْيَاناً خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعُرْيَاناً أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّب أَعْطَى وَالرَّب أَخَذَ فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّب مُبَارَكاً. [22]فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيّوب وَلَمْ يَنْسِبْ لِلَّهِ جَهَالَةً.**»(٥٥)،

وهنا يكسب الرّب الرهان في إظهار صدقه بحسن ظنه بعبده، فإن أيّوب إلى الآن متمسك بكماله ولم يكفر على الرغم من كل ما أصابه.

وعندما يمثل الشيطان أمام الرّب ثانية، يعاتبه على دسيسته، لأنه كان سببًا في هيَجانهِ على عبده أيّوب(٥٦)!. غير أنّ الشيطان يُثير دهاءهُ ثانيةً ويقترح أن يكون الأذى هذه المرة في جسم أيّوب نفسه، فأجاب: «[4]**...جِلْدٌ بِجِلْدٍ وَكُلُّ مَا لِلإِنْسَانِ يُعْطِيهِ لأَجْلِ نَفْسِهِ. [5]وَلَكِنِ ابْسِطِ الآنَ يَدَكَ وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ**»(٥٧). فتزداد الحمية عند الرّب ويقرر أن يُسلِّم أيّوب إلى الشيطان ثانيةً ليفعل ما يريد في جسمه، «[6] **فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: هَا هُوَ فِي يَدِكَ وَلَكِنِ احْفَظْ نَفْسَهُ**»(٥٨).

خرج الشيطان من حضرة الرَّب، فأصاب أيّوب بقرحٍ رديءٍ من باطن قدمه إلى هامته(٥٩)، وعلى الرغم من ذلك، يظل أيّوب صابرًا على الأذى حتى «[9]**قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ! جَدِّفْ عَلَى اللهِ وَمُتْ. [10]فَقَالَ لَهَا: تَتَكَلَّمِينَ كَلاَماً كَإِحْدَى الْجَاهِلاَتِ! أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَالشَّر لاَ نَقْبَلُ؟ فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيّوب بِشَفَتَيْهِ**»(٦٠).

ولكن الرب يزداد في تجربته إياه، فيزيد في أيّوب تعذيبًا، فتشتد عليه الأوجاع الجسدية وهو في يقظته، ولا يكون في منأى من أوجاعه الروحية في منامه، وتزداد كآبته إلى درجة أن جعلته يسب اليوم الذي وُلِد فيه(٦١). ويتغلغل التذمر في نفسه، فيُطلقه شكوًى من فمه(٦٢)، طالبًا العدل من إلهٍ متجبر في فعله. يخاطبه: «[12]**أَبَحْرٌ أَنَا أَمْ تِنِّينٌ حَتَّى جَعَلْتَ عَلَيَّ حَارِساً؟ [13]إِنْ قُلْتُ: فِرَاشِي يُعَزِّينِي مَضْجَعِي يَنْزِعُ كُرْبَتِي. [14]تُرِيعُنِي بِالأَحْلاَمِ وَتُرْهِبُنِي بِرُؤًى**»(٦٣). ثمّ ينفد صبره، ويتجرّأ على ربه: «[16]**... كُفَّ عَنِّي لأَنَّ أَيَّامِي نَفْخَةٌ. [17]مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَعْتَبِرَهُ وَحَتَّى تَضَعَ عَلَيْهِ قَلْبَكَ. [18]وَتَتَعَهَّدَهُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ لَحْظَةٍ تَمْتَحِنُهُ! [19]حَتَّى مَتَى لاَ تَلْتَفِتُ عَنِّي وَلاَ تُرْخِينِي رَيْثَمَا أَبْلَعُ رِيقِي؟ [20]أَأَخْطَأْتُ؟ مَاذَا أَفْعَلُ لَكَ يَا رَقِيبَ النَّاسِ! لِمَاذَا جَعَلْتَنِي هَدَفاً لَكَ حَتَّى أَكُونَ عَلَى نَفْسِي حِمْلاً!**

٢١.وَلِمَاذَا لاَ تَغْفِرُ ذَنْبِي وَلاَ تُزِيلُ إِثْمِي لأَنِّي الآنَ أَضْطَجِعُ فِي التُّرَابِ؟ تَطْلُبُنِي فَلاَ أَكُونُ!»(٦٤).

ولكن ما من مجيب، فـ (يهوه) هو الحكم وهو الخصم المنقاد لمشورة الأشرار، وما من أحد يحاسبه على أعماله!

ويكره أيوب حياته، فيزداد في معاتبة ربّه، ويشكو إليه بمرارة(٦٥): «**٢.لاَ تَسْتَذْنِبْنِي. فَهِّمْنِي لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي! ٣.أَحَسَنٌ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ أَنْ تَرْذُلَ عَمَلَ يَدَيْكَ وَتُشْرِقَ عَلَى مَشُورَةِ الأَشْرَارِ؟ ٤.أَلَكَ عَيْنَا بَشَرٍ أَمْ كَنَظَرِ الإِنْسَانِ تَنْظُرُ؟...**»(٦٦)، إلاّ أنَّ (يهوه) لا يعبأ ببراءة أيّوب هذه، ويبقى أيوب يصارع مع معاناته، ويتحمل أذى أصدقائه الثلاثة الذين جاءوا لزيارته، فأسمعوه كلماتهم اللّاذعة التي تستذنبه وتنتقص من إيمانه(٦٧).

وبعد طول عذاب وانتظار لإجابة الرّب، تجلى إليه من العاصفة(٦٨) ليوبّخه بلسان القوي المتجبِّر، القادر القاهر: «**٢.مَنْ هَذَا الَّذِي يُظْلِمُ الْقَضَاءَ بِكَلاَمٍ بِلاَ مَعْرِفَةٍ؟ ٣.أُشْدُدِ الآنَ حَقْوَيْكَ كَرَجُلٍ فَإِنِّي أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي. ٤.أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ. ٥.مَنْ وَضَعَ قِيَاسَهَا؟ لأَنَّكَ تَعْلَمُ! أَوْ مَنْ مَدَّ عَلَيْهَا مِطْمَاراً؟ ٦.عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قَرَّتْ قَوَاعِدُهَا أَوْ مَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتِهَا**»(٦٩).

وبعد كلام طويل يُظهِر فيه (يهوه) جميل صنيعته، يُجيبه أيّوب إجابة البائس اليائس الحقير أمام رب لا يتحلى بأخلاقٍ لا أقل أنْ يتحلى بها إنسان بسيط..! «**٤.هَا أَنَا حَقِيرٌ فَمَاذَا أُجَاوِبُكَ؟ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى فَمِي. ٥.مَرَّةً تَكَلَّمْتُ فَلاَ أُجِيبُ وَمَرَّتَيْنِ فَلاَ أَزِيدُ**»(٧٠).

وأخيرًا ينصاع أيّوب لهذه القوة الجبارة التي لا يستطيع أن يحتكم إلى عدلها أو محاسن أخلاقها.. وإنما يقر بضعفه ومقهوريته. وهنا يرأف الرّب به بعد أن يصل مبتغاه في إثبات قوته وإخضاع العباد له! وأخيرًا يقرر إعادة كل ما سلبه من أيّوب، ويزيده ضِعفًا له(٧١). وبهذه المحاورة يُظهِر الكَتَبة العبرانيون (يهوه) الإله القاهر القوي الذي تذل له الرقاب وليس من حق أحد أنْ يعترض عليه أو يناقشه فيما يفعل، بحقٍ أو بغير حق، كما أنهم يُظهرون تفوق أخلاق أيّوب على أخلاق ربِّه الذي انصاع لمكيدة الشيطان ولم يستطع معرفة إيمان عبده القلبي إلّا بابتلائه بكل تلك الابتلاءات!!

المبحث الثاني
ماهية الشيطان في الفكر المسيحي
المطلب الأول: تعريفٌ مجمل بكتاب المسيح المقدس

الكتاب المنزل من السماء على نبي الله المسيح عليه السلام هو (الإنجيل) وهو كتاب واحد وليس متعدد، إلّا إنّه اليوم عبارة عن أربعة أناجيل؛ لأنه تم تدوينه من قبل أربعة رجال هم كل من: (متّى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا)، وبحسب الرواية المسيحية أنّ هؤلاء الرجال دوّنوه بإيحاء من روح القدس[72]،

على أنَّ المستقرئ لهذه الأناجيل لا يراها أكثر من كتب روائية وقصصية، حرّرها كتّابها وفق رؤى وأهداف معينة تخدم المرحلة التي عاشوها. وهناك من المسيحيين من يذهب إلى هذا الرأي، مثل الأستاذ جنيبير[73*1] الذي يرى أنه بانتهاء الجيل الأول من المؤمنين بالمسيح عليه السلام، لم يعد هناك شهود (مباشرين) لحياة المسيح، فرأى الحريصون من المسيحيين أنه من المصلحة أن يدوّنوا ما رأوه جديرًا بالعناية من مجموعات حِكَم منسوبة إلى أستاذهم -يسّوع- أو حكايات عن مراحل حياته وجدوا فيها عِبرة وتمييزًا لشخصيته، أو وصفًا لمعجزاته التي افترضوا صحتها في الأخبار التي توارثوها شفاهًا. فلم يعنِ أحدٌ منهم بما يسمى اليوم بـ (التحقيق التاريخي)؛ لأن هذا المنهج يتنافى مع دوافع الإيمان المطلق لدى هؤلاء الكتّاب الذين افتقروا إلى روح النقد[74].

وبذا يتضح أنَّ هذه الأناجيل عبارة عن روايات وأحاديث افتقرت إلى توقيفية النص الإلهي الذي من المفترض أن تكون عليه، فخرجت إلى الوجود التدويني عبارة عن روايات متضاربة وغير متناسقة وتفتقر إلى القدسية التي يدّعيها المسيحيون إلى أناجيلهم.

وتعد هذه الأناجيل جزءًا من الكتاب المقدس الذي تعتمد عليه الكنيسة المسيحية اليوم في استنباط أحكام الشريعة. والكتاب المقدس نفسه جامع لكل الكتب اليهودية والمسيحية معًا، وقد قسمّوه على قسمين:

- **الأول: العهد القديم** Old Testament، الذي اشتمل على شريعة موسى وكتب الأنبياء والأمثال، وقد تم التعريف به في المبحث السابق.
- **والثاني العهد الجديد** New Testament، المؤلَّف من سبعة وعشرين

سِـفْرًا مختلفـة الحجـم. وسُـمَّيت بهـذه التسـمية في قبـال نصـوص العهـد القديـم اليهوديـة.

وتشـمل البشـارات الأربعـة، أي أسـفار الأناجيـل الأربعـة، وسِـفر أعـمال الرسُـل، ورسـائل بولـس الرسـول وهـي (١٤) رسـالة، والرسـائل الجامعـة وهـي (٧) رسـائل، وأخـيرًا رؤيـا يوحنـا.

وبحسـب الكنسـيّين، فإنّ هذه التسـمية لكتبهـم المقدسـة لم تُطلَـق عليهـا إلّا في أواخـر القـرن الميـلادي الثـاني، بعـد أنَّ كانـت النصـوص اليهوديـة لزمـن طويـل كتـاب المسـيحيين المقـدس الأوحـد، غـير أنَّ المسـيحيين الأولـين أخـذوا بمـا ذهـب إليـه القديـس بولـس[٧٥*٢] في أنَّ نصـوص المؤلفـات الجديـدة تحتـوي عـلى أحـكام **عهـد جديـد** تحـدِّد عباراتـه العلاقـة بـين اللـه وشـعبه في المرحلـة الأخـيرة مـن تاريـخ الخـلاص؛ لـذا أطلقـوا عبـارة **العهـد القديـم** عـلى النصـوص اليهوديـة المسـمّاة (الشريعـة والأنبيـاء). إشـارة إلى أن الأحـكام التـي جـاءت في شريعـة مـوسى تُعـد قديمـة نسـبة إلى الأحـكام التـي جـاء بهـا يسّـوع الـذي جددهـا وتخطَّاهـا[٧٦].

المطلـب الثـاني: ماهيّـة الشـيطان في العهـد القديـم

المسـيحية مـن الأديـان التـي تنظـر إلى الشـيطان بوصفـه كائـن خلقـه اللـه تعـالى لغـرض اختبـاري تكتيـكي أو تجريبـي للإنسـان؛ لتُكتَشَـف بـه سرائـره، وهـم يعتبرونـه حقيقـة موجـودة ولا يمكـن إنـكار وجودهـا؛ لأنّ كتابهـم المقـدس يُخـبر بذلـك، وأغلـب المسـيحيين يعتقـدون بأنـه في أصلـه كان مـن الملائكـة الكرّوبيـم وكان اسـمه **لوسـيفر**، الـذي يعنـي (حامـل النـور) في اللغـة اللّاتينيـة، إلّا أنـه سـقط كالـبرق مـن السـماء عندمـا دخـل الكبريـاء في نفسـه وأراد أن يكـون مثـل العـلي[٧٧]، مسـتندين في ذلـك إلى نصّـين مـن العهـد القديـم:

الأول: في سـفر إشـعياء، عندمـا أراد الـرّب تشـبيه ملـك بابـل الظـالم بإبليـس المـلاك السـاقط في الهاويـة، في قولـه: «**كَيْـفَ سَـقَطْتِ مِـنَ السَّـمَاءِ يَـا زُهَـرَةُ بِنْـتَ الصُّـبْحِ كَيْـفَ قُطِعْـتَ إِلَى الأَرْضِ يَـا قَاهِـرَ الأُمَـمِ وَأَنْـتَ قُلْـتَ فِي قَلْبِـكَ أَصْعَـدُ إِلَى السَّـمَاوَاتِ أَرْفَـعُ كُرْسِـيِّي فَـوْقَ كَوَاكِـبِ اللّـهِ وَأَجْلِـسُ عَـلَى جَبَـلِ الاجْتِـمَاعِ فِي أَقَـاصِي الشِّـمَالِ. أَصْعَـدُ فَـوْقَ مُرْتَفَعَـاتِ السَّـحَابِ. أَصِيرُ مِثْـلَ الْعَـلِيِّ. لَكِنَّـكَ انْحَـدَرْتَ إِلَى الْهَاوِيَـةِ**

إِلَى أَسَافِلِ الْجُبِّ»[٧٨] يقول القس تادرس في تفسير النص: «لقد تشبهت بإبليس سيدك الذي كان كوكبًا عظيمًا ومرموقًا بين السمائيين «زهرة بنت الصبح»، فتشامخ على الله خالقه، وظن أنه يقدر أن يرتفع على مستوى الله نفسه بل ويصير أعظم منه، فسقط ليصير ظلامًا عوض النور إذ عزل نفسه بنفسه عن الله مصدر النور. أردت أن تجلس على جبل صهيون (مز ٤٨: ٢)، جبل الله المقدس، حسبت نفسك كالله في العظمة فتعاليت فوق السحاب!»[٧٩]. يُشَار إلى أنّ بعض علماء الدين[٨٠] يرون أنّ هذا التشبيه دخل في العقيدة المسيحية في القرن الثالث الميلادي، لا سيما بين الشعراء، ولعله مبني على التفسير الخاطئ الذي يربط بين قول المسيح: «**فَقَالَ لَهُمْ: رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطاً مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ**»[٨١]، وبين نص سِفر إشعياء الآنف الذكر: «**كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ...**».

والنص الثاني الذي يستندون إليه، في سفر حزقيال، حيث يشبّه الرّب (ملك صور) بالشيطان الذي كان حكيمًا وجميلًا، فتكبّر ،فأسقطه الله، كما في قوله: «١٢**يا ابْنَ آدَمَ، ارْفَعْ مَرْثَاةً عَلَى مَلِكِ صُورَ وَقُلْ لَهُ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّب أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَال مَلآنٌ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ...**١٤**أَنْتَ الْكَرُوبُ الْمُنْبَسِطُ الْمُظَلِّلُ. وَأَقَمْتُكَ. عَلَى جَبَلِ اللهِ الْمُقَدَّسِ كُنْتَ. بَيْنَ حِجَارَةِ النَّارِ تَمَشَّيْتَ.** ١٥**أَنْتَ كَامِلٌ فِي طُرُقِكَ مِنْ يَوْمَ خُلِقْتَ حَتَّى وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ.** ١٦**بِكَثْرَةِ تِجَارَتِكَ مَلأُوا جَوْفَكَ ظُلْمًا فَأَخْطَأْتَ فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللهِ وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكَرُوبُ الْمُظَلِّلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ.** ١٧**... سَأَطْرَحُكَ إِلَى الأَرْضِ وَأَجْعَلُكَ أَمَامَ الْمُلُوكِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْكَ.**١٨**قَدْ نَجَّسْتَ مَقَادِسَكَ بِكَثْرَةِ آثَامِكَ...**»[٨٢]. وبحسب تفسير تادرس، فإنّ الشيطان كان من أكبر الطغمات السمائية وأعظمها، طغمة الكاروبيم الحاملة للعرش الإلهي، الملتهبة نارًا كمركبة نارية إلهية! كان خاتمًا للكمال، لأنه يحمل العرش، مملوءًا حكمة، ويعكس بهاء الله عليه، يظلل بأجنحته على جبل الله المقدس، حيثما وجد إنما يعلن عن وجود الله الذي يقدس كل شيء. كان يتمشي بين حجارة نار علامة الحضرة الإلهية النارية.

ويعضّد تادرس رأيه بأقوال مفسرين كبار آخرين من قبيل العلّامة ترتليان، والعلامة أوريجانوس الإسكندري، والقديس كيرلس الأورشليمي،

وجميعها تصف الشيطان بأكمل الصفات وأحسنها في عالم القدس والكروبيين، غير أنه أفسدها بإرادته الحرة وباختياره الكامل(٨٣).

المطلب الثالث: ماهيّة الشيطان في الأناجيل

يَردُ أول ذكر للشيطان (إبليس) في العهد الجديد في إنجيل **متّى** أثناء عرضه لمسيرة حياة المسيح عليه السلام على الأرض بعد أن عمّده يوحنا المعمدان من نهر الأردن(٨٤). إذ تبدأ رحلة المسيح عليه السلام بصراع مع إبليس في البرية(٨٥*٣) قبل أن يباشر بالتبشير بين الناس، عندما أصعده الرُّوح إلى البرية ليُجرَّب من قبل إبليس(٨٦)، «٢**فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً جَاعَ أَخِيراً. ٣فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزاً**»(٨٧).

غير أنّ المسيح يرفض تجربة الشيطان هذه، وينجح في الاختبار الأول؛ لأنه لا يريد أن يحيا بالمعجزة، بل يريد تربية نفسه على العيش بقوّة كلمة الله التي جاءت في التعاليم الموسوية: «**ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان...**»(٨٨)، فأجابه قائلًا: «٤**مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ**»(٨٩).

وهنا تبدأ التجربة الثانية من إبليس ليسّوع، هذه التجربة -بحسب الأب فغالي- «ترتبط بتقليد يهودي يعتبر أنّ المسيح يظهر من أعلى الهيكل»(٩٠)، فراح ليوسوس له: «٦**إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ**»(٩١). ولكن يسّوع لم ينخدع بهذه الوسوسة أيضًا، وانتصر على الشيطان ثانية بقوله: «٧**مَكْتُوبٌ أَيْضاً: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ**»(٩٢).

ولمّا يئس الشيطان من إغوائه أراد أن يجرّب فيه حب الملك والسلطة على العالم؛ فأراه ممالك العالم ووعده بإعطائه إياها إنْ هو سجد له، ظنًّا منه أنه سينصاع له(٩٣)، ولم يدرِ أنّه أسمى من هذا الإغراء، و«١٠**حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يسّوع: اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ**»(٩٤). عندها ينجح يسّوع بالاختبار عن جدارة، فيتركه إبليس بعد يأسه منه، ومن ثم تأتي الملائكة وتصير في خدمته وتأييده(٩٥).

يقول تادرس يعقوب في تفسير هذه النصوص: «كأن الروح القدس هو

الذي اقتاده إلى المعركة، ليس اعتباطًا، وإنما لتحقيق الخطة الإلهيّة، التي هي موضوع سرور الآب والابن أيضًا. إنه لم يصعد كمن يُقتاد لا إراديًا، فإن الروح القدس إنّما هو روح القدّوس، واحد معه في الجوهر، فما يفعله إنّما يحقّق إرادة الروح التي هي واحدة مع إرادة الآب وإرادة الابن»(٩٦).

تعقيب:

إنَّ المتأمل في هذه النصوص الإنجيلية لا محالة يرى التنافي العقدي الموجود عند المسيحيين؛ لاسيما وأنَّ تجربة إبليس هذه تشبه إلى حدٍ كبير رواية البوذيين عن تجريب الشيطان لـ (بوذا) في البرية وانتصار بوذا عليه، على الرغم من أنّ البوذية قد سبقت المسيحية بنصف قرن تقريبًا(٩٧).. إذ لو كان قد اتحد اللاهوت بالناسوت وتجسّد في يسّوع على حد قولهم(٩٨). فكيف يدع الشيطان يجرِّبه؟! أكان عيسى مقهورًا في هذا الانقياد أم كان بإرادته؟.

ثم كيف يطلب منه الشيطان أن يسجد له ويُطمِعه في تمليكه العالم إنْ فعل ذلك؟!. أليس يسّوع بإله وهو مالك العالم؟؟ ثم ألّا توحي إجابة المسيح للشيطان: (**لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ**)، بأنه اعتراف منه عليه السلام بالعبودية لله تعالى وحده، وأنه ليس بأبيه أو متحد معه؟!.

ويبدو أنَّ المشكلة تكمن في التقديس والتقليد للكبراء والسادة، فهم لم يحاولوا نقد القلم الذي كتب الأناجيل؛ لاعتقادهم بقدسية وعصمة من استعمله، وإنما حاولوا توفيق وتكييف عقيدتهم وفق ما وصلهم من نصوص اعتبروها توقيفية ولها دلالة حقيقية على المعنى الذي جاءت به، فصار عيسى ابن الله أو أنه متحدٌ معه!.

يعتقد المسيحيون أنَّ للشيطان قوّة لا يستطيع قهرها الإنسان مهما بلغت درجة كماله، إذ لم يستطع الأنبياء السابقون التغلب عليه؛ ولذا قرر الله -تعالى عن ذلك علوًّا كبيرا- أن ينزل إلى عالم الدنيا بصورة المسيح ليخلّص الأرض من شرّه(٩٩)، وهي طريقة غير معهودة عند البشر؛ لأنَّ الشيطان قبل المسيح عليه السلام -بحسب القديس يوحنا الذهبي الفم- ذهب «إلى الإنسان (آدم) ليجرّبه، لكن إذ لا يستطيع الشيطان أن يهاجم المسيح... ذهب المسيح إليه»(١٠٠).

وكذا قول الأب فغالي في كتابه الإيمان وسر الخلاص: قد «نرى خلال حياة المسيح العامّة، مواجهة دراماتيكيّة

بين الشيطان وعالم الخطيئة، وبين يسّوع الذي جاء ليزيل خطيئة العالم. كان هناك رجل قويّ هو الشيطان، فجاء من هو أقوى منه جاء ابن الله إلى عالم يسيطر عليه الشيطان المدجّج بالسلاح... كانت الحرب قاسية في البريّة. ولكن، بعد أن أنهى الشيطان كلّ أنواع التجارب ابتعد إلى حين. أمّا مملكة الله فبدأت تظهر في شخص المسيح الذي استعمل قدرته تجاه «المتشيطنين» (أي الذين فيهم شيطان) فأعلن اختلال مملكة الشيطان ...»[١٠١].

الحرب هذه تحاول الأناجيل -المكتوبة- أنْ تصورها على هيئة معجزات أظهرها السيد المسيح آنذاك، وكانت فاتحة هذه المعجزات هي إبراء رجل كان مصابًا بالبرص[١٠٢]، وبحسب إنجيل متّى أنّ المسيح عندما وصل إلى كفر ناحوم «**أحضَرَ إليهِ النّاسُ كَثيرينَ مِنَ المَسكُونينَ بالشَّيَاطينِ فكان يَطرُدُ الشياطينَ بكلِمَةٍ منهُ...**»[١٠٣]، وفي إنجيل لوقا، يوحي إليك بأنَّ أفعال الشيطان كلها مصدرها من الرَّب، إمَا بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، فالشيطان لا يستطيع أن يخطو خطوة واحدة من دون إذن منه، إذ بعد أنْ طرد يسّوعَ الشياطين من أحد الأشخاص، فإنها توسّلت إليه ليأذن لها بالدخول في الخنازير عِوَضًا عن ذلك الشخص، فيأذن لها[١٠٤].

وفي إنجيل مرقس أخرج يسّوع روح نجس من رجل ممسوس، وهنالك يصرخ ذلك الروح: «**آهِ ! مَا لَنَا وَلَكَ يَا يسّوع النَّاصِرِيُّ؟ أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ قُدُّوسُ اللَّهِ! فزجرهُ يسّوع قائِلًا: اخرَسْ واخرُجْ مِنهُ! فطَرَحَ الرُوحُ النجِسُ الرجُلَ وصرَخَ صرخَةً عَاليةً، وخرَجَ منهُ. فدُهِش الجميعُ**»[١٠٥].

على هذه الشاكلة تتوالى قصص مشابهة في (الأناجيل الأربعة) لإخراج تلك الشياطين من الناس، غير أنَّها لا تخبر عن كيفية دخول الأرواح النجسة إلى هؤلاء، أو ما هي طبيعة سيطرتها عليهم؟!.. وإنما ترسم صور المعارك التي تدور بينها -لا سيما مع إبليس نفسه- وبين يسّوع ومن ثمَّ انتصاره عليها، لتذعِنَ أخيرًا وتقرّ له أمام الجميع بأنه ابن الله..!

ولعل الاعتقاد بهذه الأرواح النجسة والشيطان كان مستشريًا في المجتمع اليهودي أبان ظهور المسيح عليه السلام. ولا يُعرف هل فعلًا كانت هذه الأرواح ذا تأثيرٍ على بني الإنسان أم

أنها مجرد أوهامٍ في أذهانهم؟ أم أنها من أساطير كتبة الإنجيل لإظهار قوة وسلطان يسّوع عليها!!

من أبرز قصص إخراج المسيح للشياطين هي تلك المذكورة في إنجيلي مرقس ولوقا عند وصوله لبلدة (الجراسيين) وفيها «٢... اسْتَقْبَلَهُ مِنَ الْقُبُورِ إِنْسَانٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ كَانَ مَسْكَنُهُ فِي الْقُبُورِ وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَرْبِطَهُ وَلاَ بِسَلاَسِلَ. ٣ لأَنَّهُ قَدْ رُبِطَ كَثِيراً بِقُيُودٍ وَسَلاَسِلَ فَقَطَّعَ السَّلاَسِلَ... ٦فَلَمَّا رَأَى يسّوع مِنْ بَعِيدٍ رَكَضَ وَسَجَدَ لَهُ. ٧وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: مَا لِي وَلَكَ يَا يسّوع ابْنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ! أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي! ٨لأَنَّهُ قَالَ لَهُ: اخْرُجْ مِنَ الإِنْسَانِ يَا أَيُّهَا الرُّوحُ النَّجِسُ. ٩وَسَأَلَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَأَجَابَ: اسْمِي لَجِئُونُ لأَنَّنَا كَثِيرُونَ. ١٠وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيراً أَنْ لاَ يُرْسِلَهُمْ إِلَى خَارِجِ الْكُورَةِ. ١١وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الْجِبَالِ قَطِيعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْخَنَازِيرِ يَرْعَى. ١٢فَطَلَبَ إِلَيْهِ كُلُّ الشَّيَاطِينِ قَائِلِينَ: أَرْسِلْنَا إِلَى الْخَنَازِيرِ لِنَدْخُلَ فِيهَا، ١٣فَأَذِنَ لَهُمْ يسّوع لِلْوَقْتِ. فَخَرَجَتِ الأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبَحْرِ وَكَانَ نَحْوَ أَلْفَيْنِ فَاخْتَنَقَ فِي الْبَحْرِ. ١٤وَأَمَّا رُعَاةُ الْخَنَازِيرِ فَهَرَبُوا وَأَخْبَرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَفِي الضِّيَاعِ فَخَرَجُوا لِيَرَوْا مَا جَرَى. ١٥وَجَاءُوا إِلَى يسّوع فَنَظَرُوا الْمَجْنُونَ الَّذِي كَانَ فِيهِ اللَّجِئُونُ جَالِساً وَلاَبِساً وَعَاقِلاً فَخَافُوا. ١٦فَحَدَّثَهُمُ الَّذِينَ رَأَوْا كَيْفَ جَرَى لِلْمَجْنُونِ وَعَنِ الْخَنَازِيرِ. ١٧فَابْتَدَأُوا يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَمْضِيَ مِنْ تُخُومِهِمْ. ١٨ وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ طَلَبَ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ مَجْنُوناً أَنْ يَكُونَ مَعَهُ. ١٩ فَلَمْ يَدَعْهُ يسّوع بَلْ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى أَهْلِكَ وَأَخْبِرْهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّب بِكَ وَرَحِمَكَ. ٢٠فَمَضَى وَابْتَدَأَ يُنَادِي فِي الْعَشْرِ الْمُدُنِ كَمْ صَنَعَ بِهِ يسّوع. فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ»(١٠٦).

ويبدو أنَّ ما يريده كتبة الأناجيل من هذه القصص، هو إظهار بُنوّة المسيح لله عن طريق هذه الأرواح واعترافها بذلك أمام الناس بعد كل معركة ينتصر فيها المسيح عليها، وأنه سيكون سلطان هذا العالم بعد أنْ كان سلطانهُ الشَّرير.

إذ يفتخر بعضهم بذلك قائلًا: «جاء ملك أورشليم يطرد سلطان هذا العالم عن عرشه. وها إنّ ملكوت الله يحلّ محلّ ملكوت الشيطان. هذه الوجهة من رسالة يسّوع تلقي ضوءًا على آلامه... ولكن، من أين

للشيطان هذا السلطان؟ منذ البدء، آمن الإنسان بالشيطان الذي أغواه وخان الرَّب، وهكذا صار العالم تحت سلطان إبليس. هذا ما كان من آدم الأوّل. ولكنّ آدم الثاني سيستعيد المملكة وينال السلطان على كلّ الخلائق»(١٠٧).

وعلى الرغم من انتصارات يسوع المتتالية على الشيطان وجنده، إلّا أنّ الشيطان يستطيع في النهاية الدخول في (يهوذا) أحد تلامذة يسّوع، ومن ثم يدفعه ليخون سيده ويكون سببًا في قتله بعد أن وشى به عند كهنة اليهود -أو معاوني الشيطان بحسب تعبير كَتَبة الأناجيل- الذين أمسكوا به وصلبوه بحسب ادعائهم(١٠٨). غير أنّ معركة يسّوع مع الشيطان لم تنتهِ بعد، ولذلك يقوم بعد ثلاثة أيام من وفاته ليظهر لتلاميذه ويُعطيهم السلطان لأنْ يطردوا الشيّاطين باسمه، بحسب ما جاء في إنجيل متّى: «**وأعطاهُمْ سُلطانًا على الأرواحِ النَجسةِ لِيَطرُدُها ويَشفُوا كُلَّ مَرَضٍ وعِلَّةٍ**» (١٠٩). وتعد هذه أول سلطة يعطيها إنجيل متّى لإنسان في إخراج الأرواح النجسة من المرضى بعد يسّوع، والتي كانت تسبب مختلف الأمراض من خرسٍ وعمًى وصرع ..وبعض منها تَهَبُ ساكنها العِرافَة(١١٠)!.

المطلب الرابع: ماهية الشيطان في الأسفار الأخرى

في هذا القسم من أسفار العهد الجديد، تُتابِع الكنيسة جهادها المتواصل مع الشيطان، بعد أنْ اعطى يسّوع السلطان لتلاميذه في ذلك، ثم انتقلت إلى أتباعه الأُوَل، وبحسب سفر أعمال الرسل فإنّ بولس الرسول قام بإخراج روح نجس من فتاة خادمة، كان ذلك الروح قد وهبها القدرة على العِرافة وكان، أسيادها يجنون المال بسببها، فأخذت تتبع بولس ومَن معه وتشهد لهم بالصلاح قائلةً: «١٧... **هَؤُلاَءِ النَّاسُ هُمْ عَبِيدُ اللهِ الْعَلِيِّ الَّذِينَ يُنَادُونَ لَكُمْ بِطَرِيقِ الْخَلاَصِ**»(١١١). ولمّا أكثرتْ من ذلك، ضجر منها بولس وأمر الروح النجس بالخروج منها، فخرج منها، وساء ذلك أسيادها لأنّ بولس أفسد عليهم رزقهم، فعمدوا إلى مسكه ومحاكمته، ومن ثم أودع السجن، وفي السجن ظل يصلي ويسبح الله حتى ظهرت معجزاته، فحدثت بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت أساسات السجن، فانفتحت أبوابه وفكت

قيود المسجونين جميعًا، وهذا الأمر كان سببًا في إيمانهم وإيمان المقيم على السجن[١١٢].

وفي هذا القسم ايضًا، تتجلى عقيدة المسيحية بهذا المخلوق الشرّير، إذ تعدّه أكثر الأرواح أو الملائكة الساقطة شرًّا، وكما يصوّره يوحنا في رؤياه: «[٩] **فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ**»[١١٣]. ولأنّ إبليس في عقيدتهم من عالم الروحانيات، فهو من هذا الحيث له امتيازات هذه الرتبة من الكائنات، السلطة والرياسة والولاية الغيبية، ومن ثمّ يصعب على الإنسان محاربتها بصورة مباشرة، ولذلك لابدّ له من أن يتقيها بلبس سلاح الله، كما في قول بولس لقدّيسي أفسس: «[١١] **الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ.** [١٢] **فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ**»[١١٤].

وعلى الرغم من سقوط الشيطان وطرد الرَّب له، إلّا أنَّ خطيئة (آدم) منحته الفرصة ليجوب الأرض طولًا وعرضًا يفعل فيها ما يريد! إذ تقرأ في الكتاب المقدس: «**مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ**»[١١٥]. يقول القس تادرس في تفسيره للنص: «لقد أظهر -يقصد بولس الرسول- أنّ الخطية بدأت بالإنسان الأول، وتملّك الموت غالبًا إياه، وقد صار الكل مخطئين وإنْ لم يسقطوا في ذات المعصية. صارت الخطية منتشرة في الطبيعة البشرية لكنها غير مُكتشفة حتى جاء الناموس، فظهرت بعصيان الإنسان لوصايا معينة»[١١٦].

ومن أجل أن يخلّص الربَّ الناسَ من خطاياهم، يضطر لأنْ ينزل إلى الأرض ويتجسّد -بحسب ادعاءهم- في ابنه يسّوع الذي سيخلّص المسيحيين من شرور الشيطان «[٨] **مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ فَهُوَ مِنْ إِبْلِيسَ، لأَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْبَدْءِ يُخْطِئُ. لأَجْلِ هذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ**»[١١٧].

وفي سِفر الرؤيا يصوّر يوحنا رمزيات عدة عمّا رآه عن الشيطان وحربه الطويلة ضد الكنيسة، تبتدئ هذه الرمزيات بتقييد الشيطان ألف سنة على يد ملاك ينزل من السماء، وذلك لمساعدة الناس على ألّا يضلّوا، كما في قوله: «١وَرَأَيْتُ مَلاَكاً نَازِلاً مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ مِفْتَاحُ الْهَاوِيَةِ، وَسِلْسِلَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ. ٢فَقَبَضَ عَلَى التِّنِّينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَيَّدَهُ أَلْفَ سَنَةٍ، ٣وَطَرَحَهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ لِكَيْ لاَ يُضِلَّ الأُمَمَ فِي مَا بَعْدُ حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ...»(١١٨). وبحسب مفسّري النص، فإنّ هذا الملاك النازل هو رمز للرب يسّوع الذي أُعطِي السلطان في تقييد حركة إبليس لمدة ألف عام لئلّا يقاوم الكنيسة في عملها(١١٩)، وهو من قبيل عربون مقدّم للكنيسة من السماء كما في قول القس تادرس: «إنّ الكنيسة في جهادها بالرغم مما تعانيه من آلام إلا أنها تعيش في الملك الألفي، القيامة الأولى، متذوقة عربون السماويات»(١٢٠). وبحسب القس فكري قد تحقق ذلك عمليًا «فلقد حدث بعد الصليب تغيير كبير فى حياة البشر، فلقد ترك الوثنيون عبادة الأوثان وتحوّلوا للمسيحية بعد أن قيد الشيطان على يده»(١٢١).

ويُكمل بعد ذلك يوحنا في قوله: «٧ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، ٨وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَأْجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ»(١٢٢). ويبقى هذا الصراع بين الكنيسة وإبليس حتى تتمكن أخيرًا من هزيمته وجميع أعوانه في نهاية الأزمنة، «٩فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ. ١٠وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلًا إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ.»(١٢٣).

ومن هذه النصوص تبدو الرؤية المسيحية أكثر وضوحًا من الرؤية اليهودية في رسم الصورة الشيطانية لإبليس (الملاك الساقط).

الخاتمة والنتائج

بعد استقراء البحث لميثولوجيا الشيطان في كل من الكتابين المقدسين لليهودية والمسيحية، رشح عنها النتائج الآتية:

-1 تتوافق الرؤيتان اليهودية والمسيحية في مخلوقية الشيطان (إبليس) من قبل الله تعالى، وهو من هذا الحيث لا سلطان له بالاستقلال إلّا بإرادة الله تعالى ومشيئته، خلافًا لما كان سائدًا في الديانات الوثنية والوضعية القديمة التي جعلت للشيطان سلطانًا وتأثيرًا في قِبال سلطان الله تعالى وتأثيره في هذا العالم.

-2 بدَا الشيطان في العقيدة اليهودية الأولى بصورة الحيّة، وبصورة المدمِّر والمهلِك والممرِض والمميت، لكنّه ظلّ في جميع تلك الصور خَفيًّا بظل الملاك المقرّب للرَّب (يهوه)، مكلّفًا بأداء مهام شريرة متى ما غضب الرّب أو شاء الانتقام من المُخطئين. وحين تطور الفكر اليهودي، ظهرت شيطنة هذا المخلوق جلية في الأسفار المتأخرة لكتابهم المقدس.

-3 والشيطان في العقيدة المسيحية ملاكٌ مقرّب أيضًا، غير أنه سقط من عُلوّه باختياره بعد أن ساوره الكبرياء، ومنذئذ ظهر شرّه للعلن، فصار ملِك العداء تجاه الإنسان، وظل في صراع دائم معه حتى آن ظهور المسيح الذي جرّده من سلطته، تخفيفًا لوطأة الحرب الروحية التي ستستمر بين الشيطان وبين الكنيسة من بعده، إلى أن تتغلب عليه في خاتمة الزمان، وعندها ستتحرّر البشريّة قاطبة من الخضوع له.

الهوامش

١ - ظ مانيتـون السـمنودى (٢٧٠ ق.م)/ الجبتانا-أسـفار التكويـن المصريـة، ٤١/١-٤٣.

٢ - ظ الشهرسـتاني (ت: ٥٤٨ هـ)/الملـل والنحـل، ٢١٠/١.

٣ - سفر الخروج ١٧ : ١٤.

٤ - سفر التثنية ٣١ : ٩.

٥*- اسـم عـبري، وهـو مختصـر مـن الحـروف الأولى لثـلاث كلـمات عبريـة هـي: (التَّـوراة) وهــي أســفار مــوسى الخمســة، و(نفيئيـم) وهـي أسـفار الأنبيـاء، و(كتوفيـم) وهـي كتب الأمثـال والحِكَـم وغيرهـا. ظ عبـد الوهـاب المسيري/موسـوعة اليهـود واليهوديـة، ٦١/٥.

٦ - ظ الملوك الثاني ٢٢: ٨ و ٢٣: ٢.

٧ - ظ الملـوك الثـاني ٢٣: ٢١، وسـفر أخبـار الأيـام ٣٤: ٣٠

٨ - ظ سفر أخبار الأيام ١٧: ٩ و ٣٤: ١٤.

٩ - ظ مجمـع الكنائـس الشَّرقية/قامـوس الكتـاب المقـدس، ص٣٤٨.

١٠ - يشّوع ٨ : ٣٢-٣٤.

١١ - ظ التَّـوراة السـامرية، مقدمـة الترجمـة ص٦.

١٢ - ظ عبـد الوهـاب المسيري/موسـوعة اليهـود واليهودية-المفاهيـم والفِـرَق، ٦٢/٥.

١٣ - مجمـع الكنائـس الشرقية/الكتـاب المقـدس (العهـد الجديـد)، ص٤٦٧-٤٦٨.

١٤ - ظ عبـد الوهـاب المسيري/موسـوعة اليهـود واليهوديـة، ٥٩/٥.

١٥ - التكوين ٣: ١-٦.

١٦ - طه/١٢٠.

١٧ - الأعراف/٢٠.

١٨ - التكوين٣: ١٤-١٥.

١٩ - النجم/٣.

٢٠ - ظ التكوين ٢٧: ١٩-٢٧ .

٢١ - ظ التكوين ٣١:١٣ .

٢٢ - الخروج ٣٢:١٢. (مقالة

٢٣ - ظ الخروج ٣٢: ١٢-١٤ .

٢٤ - ظ الفغـالي: الأب بولس/كتـاب الإيمـان وسر الخـلاص، ١٩٩٧، الكتـاب منشـور عـلى موقـع الفغـالي الخـاص بصيغـة ويـب عـلى الرابـط https://boulosfeghali.org ، الفصـل التاسـع والعـشرون، الشـيطان وقـوى الـشر.

٢٥ - ظ فـراس السـواح/الرحمن والشـيطان، ص١٢٨.

٢٦ - ظ مجمـع الكنائـس الشرقية/قامـوس الكتـاب المقـدس ، ص٥٣٣.

٢٧ - سفر الخروج ١٢ : ٢٣.

٢٨ - ظ مجمـع الكنائـس الشرقية/قامـوس الكتـاب المقـدس ، ص٦٣٠.

٢٩ - اللّاويين ١٦: ٨-١٠.

٣٠ - ظ مجمـع الكنائـس الشرقية/قامـوس الكتـاب المقـدس، ص٥٣٣.

٣١ - ظ تـادرس يعقوب/تفسـير الكتـاب المقـدس، كتـاب إلكتروني منشـور عـلى شـبكة الكنيسـة http://www.arabchurch.com ، تفسـير سـفر العـدد، الاصحـاح ٢٢، قصـة بلعـام.

٣٢ - العدد ٢٢ : ٢٢.

٣٣ - اللاويين ١٩ : ٣١.

٣٤ - اللاويين ٢٠ : ٦ و ٢٧.

٣٥ - التثنية ١٨: ١٠-١١ .

٣٦ - صموئيل الأول ١٦ :١٤.

٣٧ - صموئيل الثاني ٢٤ : ١-١٥.
٣٨ - صموئيل الثاني ٢٤: ١٦
٣٩ - اشعياء ٥٤: ١٦.
٤٠ - ظ الخروج ١٩: ٢-٦ ، ٣٤: ٢٦-٢٨.
٤١ - ظ التكوين ١٧: ١-٢٣.
٤٢ - ظ أخبار الأيام الثاني ٣٦: ٥-٧.
٤٣ - ظ إشعياء
٤٤ - الفغالي/الإيمان وسر الخلاص، الفصل ٢٩، الشيطان وقوى الشَّر.
٤٥ - أخبار الأيام الأول ٢١: ١.
٤٦ - يُطلقون عليه هذه التسمية، لأنه واضع أغلب هذه المزامير بصورة كتاب تسبيح يحتوي على أشعار وحِكَم يترنّمون بها في عباداتهم. ظ: مزامير ٣ : ١ ، ٤ : ١ ، ٥ : ١ ... إلخ.
٤٧ - مزامير ١٠٩: ٦-٧.
٤٨ - زكريا ٣ : ١-٢.
٤٩ - الأعراف/١٢.
٥٠ - ظ أيّوب ١ : ١-٥.
٥١ - أيّوب ١ : ٦-٨.
٥٢ - أيّوب ٩ : ١١.
٥٣ - أيّوب ١: ١٢.
٥٤ - ظ: أيّوب ١: ١٣-٢٠.
٥٥ - أيّوب ١: ٢١-٢٢.
٥٦ - ظ أيّوب ٢: ٣.
٥٧ - أيّوب ٢: ٤-٥.
٥٨ - أيّوب ٢: ٦.
٥٩ - ظ أيّوب ٢ : ٧.
٦٠ - أيّوب ٢ : ٩-١٠.
٦١ - ظ أيوب، الإصحاح الثالث.
٦٢ - ظ أيوب ٧ : ١١.
٦٣ - أيوب ٧ : ١٢-١٤.
٦٤ - أيّوب ٧ : ١٢-٢١.
٦٥ - ظ أيّوب ١٠ : ١.
٦٦ - أيّوب ١٠ : ٢-٤ وما بعده.
٦٧ - ظ أيّوب ، الإصحاحات: ١١ ، ١٢ ، ١٣.
٦٨ - أيّوب ٣٨ : ١.
٦٩ - أيّوب ٣٨ : ١-٦.
٧٠ - أيّوب ٤٠ : ٤-٥.
٧١ - أيّوب ٤٢ : ١٠-١٧.
٧٢ - ظ الكتاب المقدس كتاب الحياة/ مقدمة إنجيل متّى، ص١.
٧٣*[١]- أستاذ الأديان في جامعة باريس أبان الحرب العالمية الثانية، مسيحي كاثوليكي نشأ في ريف فرنسا، وتعلّم في مدارسها، حصل على شهادة الدكتوراه وتخصص في دراسة وتدريس المسيحية وتاريخها حتى وفاته بعد الحرب العالمية الثانية. ظ شارل جنيبير/المسيحية - نشأتها وتطورها، ص٦ - بقلم المترجم.
٧٤ - ظ م. ن. ص٢٧.
٧٥*[٢]- **القديس بولس:** هو (شاول) اليهودي، الذي تسمّى فيما بعد بـ (بولس) ومعناه (الصغير)، وُلِد في طرسوس في ولاية كيليكية التابعة للإمبراطورية الرومانية، وكان أبوه فريسيًا من سبط بنيامين وقد رُبِّيَ على الناموس. وقد لاقى المسيحيين على يديه أشدّ الاضطهاد. وكان يظن أنه يؤدي خدمة لله والناموس. ولكنه في ذات يوم في طريقه إلى دمشق، رأى في وسط النهار نور من السماء فسقط على الأرض. فادعى بعد ذلك أنه رأى الرَّبّ يسوع

وتكلّم معه، مما جعله يتحقق أن يسّوع هو ابن الله الحي، فكان يسّوع يلهمه بين الحين والآخر بتعاليم المسيحية. ظ مجمع الكنائس الشرقية/قاموس الكتاب المقدس، ص١٩٦–١٩٧.

يُشار إلى أنَّ بولس هذا.. كان الرجل الأول في تحريف دين المسيحية. يقول **شارل جنيبير** «إن موت عيسى في نظر الاثني عشر ليس بالتضحية التكفيرية. أما عند بولس فنعم؛ وفي عقيدته: أن المسيح مات من أجل خطايا البشر. ولم يكن الاثنا عشر ليوافقوا على نعت عيس بـ (ابن الله) مكتفين بتعبير (خادم الله). أما عند بولس فلقب (ابن الله) لقب كثير الاستعمال بالنسبة إلى عيسى» . شارل جنيبير/المسيحية–نشأتها وتطورها، ص٩١.

٧٦ - ظ مجمع الكنائس الشرقية/الكتاب المقدس (العهد الجديد)، ص٦-٧ .

٧٧ - ظ أنطونيوس فكري/تفسير الكتاب المقدس-تفسير سِفر إشعياء، ص٧٩.

٧٨ - اشعياء ١٤: ١٢-١٥.

٧٩ - تادرس يعقوب/تفسير الكتاب المقدس-تفسير سفر اشعياء، ١٤: ١٢-١٥.

٨٠ - ظ مجمع الكنائس الشرقية/قاموس الكتاب المقدس، ص٤٣٧.

٨١ - لوقا ١٠ : ١٨ .

٨٢ - حزقيال ٢٨ : ١٢-١٨.

٨٣ - تادرس يعقوب/تفسير الكتاب المقدس-تفسير سفر حزقيال ٢٨ : ١٢-١٨.

٨٤ - ظ متّى ٣ : ١٣-١٧ .

٨٥*[٣]- البرية كانت بالنسبة للشعوب القديمة أرض نجسة تسرح وتمرح فيها أرواح الشَّر.

٨٦ - متّى ٤ : ١.

٨٧ - متّى ٤ : ٢-٣ .

٨٨ - التثنية ٨ : ٣ .

٨٩ - متّى ٤ : ٤-٥ .

٩٠ - فغالي/الإيمان وسر الخلاص، فصل (الشيطان وقوى الشر).

٩١ - متّى ٤: ٦ .

٩٢ - متّى ٤: ٧ ، وكذلك ظ التثنية ٦: ١٦ .

٩٣ - ظ متّى ٤ : ٨-٩ .

٩٤ - متّى ٤ : ١٠ .

٩٥ - ظ متّى ٤ : ١١.

٩٦ - تادرس يعقوب/ تفسير إنجيل متّى، الاصحاح الرابع- الاعداد ١-١١.

٩٧ - ظ أحمد الشلبي/مقارنة الأديان-المسيحية، ص١٥٩.

٩٨ - ظ القديس أثناسيوس الرسولي (ت: ٣٢٨ م)/تجسّد الكلمة، ص٢٠-٢١.

٩٩ - ظ م. ن. ص٢٠.

١٠٠ - ظ: تادرس يعقوب/ تفسير إنجيل متّى ، الاصحاح الرابع-الاعداد ١-١١.

١٠١ - فغالي/الإيمان وسر الخلاص- فصل ٢٩، الشيطان وقوى الشر.

١٠٢ - ظ متّى ٨ : ٢-٣ .

١٠٣ - متّى ٨: ١٦ .

١٠٤ - ظ لوقا ٨ : ٢٦-٣٤ .

١٠٥ - مرقس ١: ٢٤ - ٢٧ .

١٠٦ - مرقس ٥ : ٣-٢٠.

١٠٧ - فغالي/الإيمان وسر الخلاص- فصل ٢٩، الشيطان وقوى الشر.

١٠٨ - ظ لوقا ٢٢ : ٣ ، وأيضًا يوحنا ١٣: ٢٧.
١٠٩ - متّى ١٠ : ١ ، ظ كذلك مرقس ١٦ : ١٧ .
١١٠ - ظ أعمال الرسل ١٦: ١٦.
١١١ - أعمال الرسل ١٦ : ١٧.
١١٢ - ظ أعمال الرسل ١٦ : ١٨ - ٣٢.
١١٣ - رؤيا يوحنّا ١٢ : ٩.
١١٤ - أفسس ٦ : ١١-١٢.
١١٥ - رومية ٥: ١٢ .
١١٦ - تادرس يعقوب/تفسير الكتاب المقدس-تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية، ٥ : ١٢.
١١٧ - رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٨.
١١٨ - رؤيا يوحنا ٢٠ : ١-٣ .
١١٩ - ظ أنطونيوس فكري/تفسير الكتاب المقدس-تفسير رؤيا يوحنا ٢٠ : ١ ، وكذلك تفسير تادرس يعقوب للسفر نفسه.
١٢٠ - تفسير تادرس يعقوب على الموقع نفسه، رؤيا يوحنا ٢٠ : ٤-٦.
١٢١ - تفسير أنطونيوس فكري على الموقع نفسه، رؤيا يوحنا ٢٠ : ١-٣.
١٢٢ - رؤيا يوحنا ٢٠ : ٧-٨.
١٢٣ - رؤيا يوحنا ٢٠ : ٩-١٠.

المصادر والمراجع

١- الكتب المقدسة:

- الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)، ترجمة سميث وفانديك (Smith & Van Dyke)، ١٨٦٥م.
- الكتاب المقدس- كتاب الحياة (العهد القديم والعهد الجديد)، طبعة مصر ، ٢٠٠٣م.
- الكتاب المقدس (العهد الجديد)، دار المشرق العربي-لبنان، ١٩٨٨م

٢- أثناسيوس الرسولي (ت: ٣٢٨م)/تجسّد الكلمة، ترجمة: نصحي عبد الشهيد، مؤسسة القديس أنطونيوس-القاهرة، ط٢ ، ٢٠٠٣م.

٣- أحمد الشلبي/مقارنة الأديان-المسيحية، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، مطبعة السنّة المحمدية، ط ٤، ١٩٧٣ م.

٤- أنطونيوس فكري/تفسير الكتاب المقدس (العهد الجديد)، كتاب إلكتروني منشور على شبكة الكنيسة http://www.arabchurch.com

٥- أنطونيوس فكري/تفسير الكتاب المقدس، كنيسة السيدة العذراء-الفجالة، ٢٠٠٠م.

٦- تادرس يعقوب/تفسير الكتاب المقدس، كتاب إلكتروني منشور على شبكة الكنيسة http://www.arabchurch.com

٧- شارل جنيبير/المسيحية - نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية-بيروت.

٨- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد

الكريم بن أحمد الأشعري (ت: ٥٤٨ هـ)/ الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة -بيروت.
٩- عبد الوهاب المسيري/موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق-بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
١٠- الفغالي: الأب بولس/كتاب الإيمان وسر الخلاص، ١٩٩٧م، الكتاب منشور على موقع الفغالي الخاص بصيغة ويب على الرابط https://boulosfeghali.org
١١- مانيتون السمنودى (٢٧٠ ق.م)/ الجبتانا-أسفار التكوين المصرية، تحقيق: علي علي الألفي، روافد للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.
١٢- مجمع الكنائس الشرقية/ قاموس الكتاب المقدس، منشورات مكتبة المشعل-بيروت، ط٦، ١٩٨١م.